(١٤)

قصة الرهط الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ

عن أنس ﷺ قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا .وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر.وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [1] .

دروس من القصة :

هذه قصة رهط جاؤوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، ثم استدركوا الأمر فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له . ومثل هؤلاء كثيرون في المجتمع الإسلامي ، يغفلون أن الإسلام دين واقعي في مبادئه وأخلاقياته وفي منهاجه التربوي . وأن الإنسان بشر يخطئ ويصيب ، ويتدنى ويرتفع ، ويزيد إيمانه وينقص، وبشريته تمنعه أن يكون كالملائكة الذين : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ [2] .

---

(١) البخارى (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠٢/ ٦) .

(٢) التحريم .

المنهج الإسلامي في التربية منهج واقعي يتعامل مع الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه. يعرف حدود طاقته، ويعرف مطالبه وضروراته ويقدر هذه وتلك ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [2] .

يعرف ضعفه إزاء المغريات ، وضعفه إراء التكاليف ، يعرف ذلك فيساير فطرته في واقعها ، ولا يفرض عليه من التكاليف ما ينوء به كاهله ، ويجعل التكليف الملزم في حدود الطاقة الممكنة ، ولكنه مع ذلك لا يتركه لفطرته الضعيفة دون تقويم .

الإسلام - وهو يجاري الفطرة بما فيها من ضعف وطاقة محدودة- لا يغفل عن تلك الطاقة المكنونة التي تحقق المثال ، إنه يسير في نهجه على واقعية تشمل المثال في أطوائها، ومثالية لا تغفل واقع الحياة [3] .

وظيفة المربي أن يصحح هذه النظرات الخاطئة عندما تظهر في سلوك أو أقوال البعض، ولهذا فقد قال النبي ﷺ لهؤلاء الرهط : « أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

علمهم المربي العظيم ﷺ : أن الوسط العدل ، وأخبرهم أن التشدد في غير موضعه هلاك فقال : « هلك المتنطعون » [4] . و« إن الدين يسر ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه » [5] .

لقد أمر رسول الله ﷺ زينب أم المؤمنين رضي الله عنها وقد رآها مدت حبلا في المسجد تستند إليه إذا فترت . فقال : « حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد [6] .

هذا هو المنهج الوسط الذي قرّره النبي ﷺ وهو يربي أصحابه ، وما على الخلف إلا الاقتداء .

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .
(٢) التغابن : ١٦ .
(٣) منهج التربية الإسلامية : محمد قطب ص٣٣ .
(٤) مسلم (٢٦٧٠/ ٧) .
(٥) البخارى (٣٩) .
(٦) البخارى (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤/ ٢١٩) .

(١٥)

أدب المسلم مع قيادته

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾[1].

* **إنه أدب نفسي مع الله ورسوله** . وهو منهج في التلقي والتنفيذ ، وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته ، وهو منبثق من تقوى الله ، وراجع إليها .

في الحديث عن معاذ ﷺ ، حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن : « بم تحكم»؟ قال : بكتاب الله تعالى . قال ﷺ : « فإن لم تجد» ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ ، قال ﷺ : « فإن لم تجد » ؟ قال ﷺ : اجتهد رأيي . فضربه في صدره وقال : «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله »[2] .

ويسأل رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع ، فيقول : « أي شهر هذا »؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال : « أليس ذو الحجة » ؟ قلنا: بلى! قال:« أي بلد هذا »؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : أليس البلد الحرام ؟ قلنا :بلى ! قال: « فأي يوم هذا»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فقال : « أليس يوم النحر» ؟ قلنا : بلى!

---

(١) الحجرات.

(٢) أبو داود (٣٥٩٢) ، والترمذى (١٣٢٧) ، وأحمد (١/ ٣٧) .

إنها صورة من الأدب ، ومن التحرج ، ومن التقوى ، التي انتهى إليها المسلمون بعد سماعهم ذلك النداء ، وذلك التوجيه ، وتلك الإشارة إلى التقوى ، تقوى الله السميع العليم .

* **والأدب الثاني** : هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب ، وتوقيرهم له في قلوبهم ، توقيرا ينعكس على نبراتهم وأصواتهم ، ويميز شخص رسول الله ﷺ بينهم ، ويميز مجلسه فيهم ، والله يدعوهم إليه ، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝ ﴾ [1] .

في الحديث الذي رواه البخاري قال : كاد الخيران أن يهلكا : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي . قال عمر : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله ـ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ . فارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء ، وذلك التحذير، فتأدبوا في حضرة رسول الله ﷺ خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون .

* لقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع ، وتجاوزوا به شخص الرسول إلى كل أستاذ وعالم ومسؤول .

كان النداء الأول لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقي .وكان النداء الثاني لتقرير ما ينبغي من أدب للقيادة وتوقير . وكان هذا وذاك هو الأساس لكافة التوجيهات والتشريعات .فلابد من وضوح المصدر الذي يتلقى منه المؤمنون ، ومن تقرير مكان القيادة وتوقيرها، لتصبح للتوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها وطاعتها [2] .

هذا هو النداء الرباني لتحديد القيادة المسلمة ، وأدب التعامل معها، فلا عمل بلا قيادة، ولا قيادة بغير طاعة ، ولا طاعة إلا بالمعروف . هذه هي تعاليم الإسلام ، وعلى الدعاة أن يلتزموها .

---

(١) الحجرات.

(٢) فى ظلال القرآن : سيد قطب ٦/ ٣٣٤٠ .

(١٦)

جنسية المسلم عقيدته

« المسلمون أمة واحدة » قالها نبي الإسلام في النص الدستوري الذي قرره يوم استقر في المدينة المنورة . فقد جاء في المعاهدة التي نظمت أمور الناس ـ المسلمين واليهود والمشركين : « إن المسلمين من قريش ، ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة » .

فإذا كان اليوم هو ميلاد الدولة الإسلامية ، فهو أيضا اليوم الذي يتقرر فيه دستوريا : (إن المسلمين أمة واحدة فيما بينهم، وهم يد على من سواهم) .

كان هذا أمرا واضحا في حسّ المؤمن ، وعليه استقرت مشاعره ، وبه نطقت تصرفاته وأفعاله ، وإذا ندّ أحد عن هذا الأصل العظيم ، كان يقال له : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، فيستغفر ويعود تائبا منيبا من كبوته .

أسرى بدر :

عندما انتصر المسلمون في بدر ، ونالوا من عدوهم فقتلوا وأسروا ، شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الأسرى ، فقال عمر بن الخطاب ﷺ : أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه ،وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين [١] .

لم تعد في قلوبهم هوادة للمشركين حتى وإن كانوا إخوانهم ، أبناء آبائهم وأمهاتهم ، فأخوة العقيدة قبل أخوة الدم .

---

(١) الرحيق المختوم : المباركفوري ص ٢٠٨ .

أم المؤمنين أم حبيبة :

ولم يكن ذلك ديدن المؤمنين وسلوكهم فحسب ، بل وكان ديدن المؤمنات ـ أيضا ـ فهن رفاق في دروب الدعوة ، وإليك الوقائع :

• أخرج ابن سعد ، عن الزهري قال : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ، وهو يريد غزو مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام فدخل على ابنته أم المؤمنين ـ أم حبيبة رضي الله عنها. فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته عنه ، فقال : أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس .

مفاصلة كاملة : بين الأبوة والبنوة من جهة ، وبين الإيمان والشرك من جهة أخرى . فلا تساهل أو تهاون ، ولا راية تعلو فوق راية الإيمان .

* وأخرج أحمد والبزار عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قدمت قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بهدايا ، ضباب (جمع ضب) وقرص وسمن ، وهي مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله ـ عز وجل : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [1] . فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها.

هكذا فهمت أسماء ، خريجة مدرسة النبوة ، الإسلام على أنه مفاصلة كاملة مع الشرك . فهي وإن كانت أمها ولها حقوق عليها ، ولكنها مشركة . فلا تستطيع أن تدخلها بيتها حتى يأذن لها رسول الله ﷺ .

---

(١) الممتحنة .

الرجال الدعاة ، والأخوات الداعيات فهموا هذه القضية فتميزوا والتزموا وأصبحوا بحق قادة دعوة، ومؤسس دولة ، ونماذج قدوة في العالمين .

جنسية المسلم :

بعض المسلمين ، وفيهم من يزعم أنه من الدعاة، يرفعون رايات جاهلية يصطفون تحت لوائها ، فهذا من مدينة كذا ، وذاك من البلد الفلاني ، هذا يتكلم بهذه اللغة ، وذاك يتكلم بغيرها ، هذا عربي والآخر تركي وثالث أفغاني ورابع من بلد آخر .

تحت هذه الرايات الجاهلية يتنابذ المسلمون بالألقاب ، ويتقاتلون ، وتسكب منهم الدماء باسم العصبية النتنة ، أين هؤلاء من قيم دينهم الذي يزعمون خدمته والولاء له؟ !

لقد حذرنا المربي الأول من هذه العصبية وقال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، دعوها فإنها منتنة » .

وكذلك على دعاة اليوم إذا أرادوها إسلامية تحقق لهم النصر والسؤدد ، أن يقتدوا ويلتزموا ويقيموا مشاعرهم على أساس أن جنسية المسلم عقيدته .

(١٧)

القائد ودوره في الدعوة

للقائد ـ ولا شك ـ دور أساسى في إعداد الفرد وتشكيل المجتمع.ولقد شكلت شخصية النبي ﷺ، التي تمثلت القرآن الكريم وحولت مبادئه ومعانيه إلى تصرفات وسلوك ومعاملات وأفكار ومشاعر، القدوة الحسنة التي أشار إليها القرآن الكريم [١] : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٢] .

ولو كان وجود شخصية النبي حتميا لاستمرار الدعوة، ما جعلها الله دعوة للناس كافة ، وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل إليها أمر الناس في هذه الأرض ، إلى آخر الزمان [٣] .

يوم أحد سرت إشاعة مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل رسول الله ﷺ ونادى مناديهم بذلك ، وتسبب ذلك بمزيد من الذعر والارتباك في صفوف المقاتلين المسلمين . بعض المسلمين وقفوا حائرين ، ماذا يصنعون ؟ وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم ، وبينما القوم حائرون ، أقبل أنس بن النضر، وقال : ما لكم قد ألقيتم بأيديكم هكذا ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . فقال : فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل المشركين بسيفه واندفع نحوهم كالإعصار .

أما الصحابي الجليل ثابت بن الدحداح ، فقد صاح في قومه يحرضهم على الاستبسال ويقول : يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل ، فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا على دينكم .

---

(١) التربية ودورها فى تشكيل السلوك ، للمؤلف .
(٢) الأحزاب : ٢١ .
(٣) معالم فى الطريق : سيد قطب ص ٢١ .

الموقف ذاته وقفه سيدنا أبو بكر ﷺ يوم توفي رسول الله ﷺ واضطرب المسلمون ، فقال لهم : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإن الله حي باق لا يموت ، وتلا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1] . فللقائد ولا شك دور أساسي في الدعوة ، ولكن القيادة متجددة ، وإذا سقط قائد قام مكانه قائد آخر .

سئل الإمام حسن البنا ﷺ عندما اشتدت المحنة حوله وحول إخوانه: إذا قتلوك فمن يأتي مكانك ؟ قال الإمام البنا : انتخبوا أضعفكم وساعدوه .

هذه هي القيادة الإسلامية المتجددة ، وهذا دورها ، والقائد ليس هو النبي أو الخليفة أو الحاكم فقط ، بل كل عامل مسؤول في موقع ما هو قائد لهذا الموقع ، عليه أن يربط الآخرين بالدعوة لا بشخصه ، وبالإسلام لا بالأشخاص ، وبالله لا بأي معنى آخر ، وعندها فقط يكون قائدا صادقا ، وتكون السفينة سائرة إلى بر الأمان .

هكذا فهم المسلمون الأوائل الذين تخرجوا من مدرسة النبوة معنى القيادة ، وكذلك فليفهمها الخلف من بعدهم .

---

(١) آل عمران .

obeikandl.com

(١٨)

والصدقة برهان

المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل يتضامن أفراده في مواجهة الحياة ، ويتعاونون على حمل أعبائها ، ويساند بعضهم بعضا أمام الأزمات والخطوب ، ولقد صور سيدنا رسول الله ﷺ حالهم هذا فقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» [١] .

هو تكافل من نوع جديد لم تعرفه البشرية من قبل ، في ظله تتحد الأحاسيس وتتضامن ، وبه تتوافق المشاعر وتتساند ، وإذا بالمسلمين كالجسد الواحد ، ما إن يكون أحدهم بضائقة من أي نوع كانت ، معنوية أو مادية ، حتى يرى إخوانه وقد استنفروا كل طاقاتهم وجهودهم لمعاونته ومشاركته ومواساته ، بل وفي كثير من الأحيان يقدمون ما لديهم وهم بأمس الحاجة إليه : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [٢] .

والإيمان ليس قولا يقال، ولا دعوى تدعى، إنما هو حقيقة يمتد شعاعها إلى العقل فيقتنع ، وإلى العاطفة فتجيش ، وإلى الإرادة فتتحرك وتحرك [٣] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٤] .هكذا فهم المسلمون الإيمان ، وهكذا طبقوه ، وكانت الداعيات المسلمات على نفس المستوى من الوعي والفهم والتطبيق ، فهذه السيدة

---

(١) مسلم (٢٥٨٦) .
(٢) الحشر .
(٣) التربية الإسلامية : د. يوسف القرضاوى ص ٩ .
(٤) الحجرات : ١٥ .

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : جاء مسكين يسألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها : أعطيه إياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت : أعطيه إياه، قالت : ففعلت . فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت شاة وكفنها، فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت : كلي من هذا ، هذا خير من قرصك [1] ، والتصدق برغيف الخبز أمر هين في كثير من الأزمان ، ولكن الأمر يكون أصعب ، إذا كان الرغيف هو كل ما يملك الإنسان .

كانت الداعيات المسلمات ـ وعلى رأسهن أمهات المؤمنين ، يتسابقن ويتنافسن في هذا المضمار، فالمرأة بحكم تكوينها أقدر على مثل هذه المعالجات الاجتماعية من الرجل ، فهن الأقرب إلى البيوت ، والأكثر اطلاعا على الأوضاع .

أخرج الشيخان عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها قالت : قال رسول الله : « أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا ». قالت عائشة : فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلما توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكانت امرأة قصيرة ، عرفنا أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة [2] .

بمثل هذه الأمور كان أهل البيت النبوي يتنافسن . عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال : ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء رضي الله عنهن . وكيف لا يكن كذلك وهن المتخرجات من مدرسة النبوة !

ولم يقتصر هذا السلوك الكريم على المسلمات الأوائل ، بل تمثلته الأخت المسلمة في كل مرة آمنت فيها بسموّ دعوتها ، فانطلقت لا تلوي على شيء ، تجاهد بنفسها ومالها ووقتها، شعارها : أسرعت إليك ربي لترضى .

هكذا كانت مواصفات أمهات المؤمنين خريجات مدرسة النبوة ، وكذلك على الدعاة والداعيات أن يفعلوا .

---

(١) مالك فى الموطأ ٢/ ٩٩٧ (٥).

(٢) البخارى (١٤٢٠) ، ومسلم (٢٤٥٢/ ١٠١) .

(١٩)

اللهم احشرني مع صاحب النقب

يقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[1]، لكي يكون العمل مقبولا عند الله تعالى، لا بد أن يتحقق فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى، والموافقة لشرعه - سبحانه - كما بينه النبي ﷺ في سنته وسيرته الشريفة.

أما معنى الإخلاص:

* فهو أن يقصد العبد بقوله وفعله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو ذكر، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[2].

والإخلاص سرّ بين العبد وربه كما قال الجنيد البغدادي (رحمه الله) فلا يعلم به نبي مرسل ولا ملك مقرب[3]، ورد في الأثر: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة يا رب: والله ما رأينا منه إلا خيرا، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي».

ومما ورد في معاني الإخلاص - أيضا - هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى، ويتحقق ذلك بنسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق - سبحانه.

---

(١) البينة: ٥.
(٢) الأنعام.
(٣) مدارج السالكين ابن القيم ص ٥١٦.

والإخلاص مطلوب من المؤمن حتى لا يخزى يوم القيامة للحديث الشريف : «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء ! فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .ورجل وسَّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» [1] .

وللإخلاص آثار في سلوك المؤمن منها :

* أنه إذا وجد الإخلاص فلا يباع المؤمن ولا يشترى، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة عندما جاءت قريش تساومه على أمر دينه : « إن كنت تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك الأموال حتى تكون أغنانا ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك » .

ويضع الرسول ﷺ كل هذا تحت قدمه ويعلن أنه لن يترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك دونه ﷺ . إنه اختيار صعب ، كم سقط فيه من الناس؟ كم باعوا آخرتهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم؟ يصبح المرء من دعاة الحق ويمسى من دعاة الباطل وبوقا له من أجل منصب زائل ، قال الله ـ تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [2] . قال مالك

(١) مسلم (١٩٠٥/ ١٥٢) .
(٢) الأعراف .

ابن دينار (رحمه الله) : هذا (كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأقطعه وأعطاه ، فتبع دين الطاغوت وترك دين موسى عليه السلام [1] .

ومن السبل المؤدية إلى الإخلاص :

* **المحاسبة لكل عمل** ، فما الباعث عليه؟ دُعي أحد السلف إلى شهود جنازة والصلاة عليها ، فقال لداعيه : اصبر حتى أحضر للأمر نيه ! هكذا حتى يوجه بوصلة قلبه نحو مرضاة الله ؛ لأن الأمور بمقاصدها .

والإخلاص سبب لطيب العلاقة مع الناس ، فمتى أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس ؛ لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. يقول الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) : (إن العبد ليخلو بمعصية الله ـ تعالى ـ فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ، ومن أصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طيبه ، فالله الله في السرائر ؛ فإنه لا ينفع مع فسادها صلاح الظاهر) [2].
ولما اقترب أجله بكى بحرارة ، فقيل له : أحسن الظن بالله يا إمام ، لقد تاب على يديك عشرات الآلاف!! فقال : كيف بك يا بن الجوزي إذا نجا هؤلاء وهلكت ؟!
ثم دعا : اللهم إن عذبتني لا تخبرهم لئلا يقال : عذب الله من دعا إليه ، ثم قال : أخشى أن تبدو لي سيئات ما كسبت! وقرأ ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ [3] .
وأخشى أن أكون فرطت وخلطت ونافقت فيبدو لي ما لم أكن أحتسب! وقرأ ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [4] .

هكذا يخشى على نفسه النفاق وهو من هو ، لذا قال التابعي ابن أبي مليكة رحمه الله: أدركت ثلاثين من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق !! فماذا نقول نحن ؟ الله المستعان ، ولقد حدد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علامات الرياء في سلوك

---

(١) ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره .
(٢) صيد الخاطر .
(٣) الزمر : ٤٨ .
(٤) الزمر .

صاحبه فقال : (للمرائي أربع علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه ، وينقص منه إذا لم يثن عليه) .

* ولقد ابتعد الصحابة - لشدة إخلاصهم- عن الشكليات والصور والعناوين، فهذا سلمان الفارسي ﷺ يرسل رسالة إلى أخيه أبي الدرداء ﷺ لما قال : إني نزلت الأرض المقدسة ، فأجابه سلمان : (إن الأرض لا تقدس أحدا ، إنما يقدس الإنسان عمله) .

ولأهمية إخلاص النوايا فقد استفتح الإمام البخاري كتابه الجامع بحديث : « إنما الأعمال بالنيات » ، وقال الإمام الشافعي : هذا الحديث يدخل في سبعين بابا في الفقه .

ومن نماذج حرص السلف على الإخلاص دعاء مطرف بن عبد الله الشخير - وهو أحد تلاميذ ابن مسعود ﷺ : (اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أريد به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت) ، وكان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ يقول : (كم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر) ، فالمطلوب تجديد النية والمحافظة عليها من التغير والانحراف ، قال النبي ﷺ : « لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا اجتمعت غليا »[1] .

* أما أبرز علامات الإخلاص : فنكران الذات ، إن الشغل الشاغل للمخلص أن يقبل الله عمله ، وليس أن يعرف ويشتهر بين الناس ، لذلك قال الإمام الشافعي وهو يشير إلى مؤلفاته والثروة العلمية التي خلفها للأمة ، قال : وددت لو انتشر هذا العلم بين الناس دون أن ينسب إليّ !! سبحان الله !! أي تجرد هذا منه ، ولقد ذكر رب العزة في كتابه الكريم رسلا ودعاة لم يفصح عن أسمائهم : قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾[2] . من هم؟ ما أسماؤهم؟ لا نعلم ، وقال تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[3] .

---

(١) أحمد (٦/ ٤) .
(٢) الكهف .
(٣) يس .

أين؟ ما أسماؤهم؟ لا نعلم، قال العلماء : ذلك حتى تتربى الأمة على نكران الذات ، وأن العمل هو الأساس وأن الأصل توجيه الهمم للاقتداء بالأعمال لا التنقيب عن الأسماء ، ثم هي عزاء لكل مجاهد مجهول .

صاحب النقب :

وفي قصة صاحب النقب أسمى بيان لهذه المعاني ، في إحدى معارك المسلمين كان المجاهدون يحاصرون إحدى قلاع الروم المحصنة ، وكان الدخول إليها صعبا إلا من نقب فيها تخرج منه مجاري المدينة ، وقف مسلمة بن عبد الملك أمير الجيش ينادي في الجند : من يدخل النقب ويزيح الصخرة التي تحبس الباب ويكبر حتى ندخل؟ فقام رجل قد غطى وجهه بثوبه وقال : أنا يا أمير الجند ، قام فزحف على بطنه في فتحة المجاري ودخل النقب وفتح الباب وصاح : الله أكبر ودخل جند الإسلام فاتحين مهللين مكبرين .

يقف مسلمة ينادي في الجند ثلاثا من صاحب النقب ؟! من الذي فتح الباب ؟ فلا يجيبه أحد فقال : أقسمت على صاحب النقب أن يأتيني في أية ساعة من ليل أو نهار ، أمر القائد لا بد أن يطاع ، لما كان الليل طرق بابه طارق ففتحه مسلمة مستبشرا ، أنت صاحب النقب؟ قال الطارق : هو يشترط ثلاثا حتى تراه . قال مسلمة وما هي؟قال :

أولا : ألاّ ترفع اسمه إلى الخليفة .

ثانيا : ألاّ تأمر له بجائزة .

ثالثا : لا تنظر له بعين التمييز ، قال مسلمة : أفعل إن شاء الله ، قال الطارق : أنا صاحب النقب!!! فكان من دعاء مسلمة : (اللهم احشرني مع صاحب النقب)[1] .

وهكذا لم يدخل اسم صاحب النقب إلى كتب السير ، ولم تنشره وسائل الإعلام ، ولم يمنح وسام النيل ولا الرافدين ولا وسام الفاتح ولا درعالجزيرة! إنما بقي محفوظا عند علاَّم الغيوب في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة ، وهكذا إذا وجد الإخلاص فلا

(١) فى المفاهيم الإسلامية والحركية : هاشم محمد ج ١ .

يلتفت العبد إلى مدح الناس أو ذمهم أو رضاهم أو غضبهم ، إنما شغله الشاغل رضى الحق ـ تبارك وتعالى ، ولسان حاله يقول :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

obeikandl.com